العودة

... وأطلّ وجهك مشرقاً من خلف عام
عام طويل ظل في عمري يدبّ كألف عام
عام ظللت اجرّه خلفي وازحف في الظلام
وعواصف ثلجية تصطك حولي ، والطريق

كانت تضيق كأنها امل يضيق
ويضيع في تيه القتام

★

عام طويل ظلّ يفصلنا به بحرٌ صموتْ
بحرٌ دجتْ امواجه وتجمّدتْ ؛ بحرٌ تموت
فيه الحياة وتغرق الخلجات في برد السكوت ..

وانا على الشط الأصمّ
انا والفراغ وليل وهمي
اصغي لعلّ صدى يمرُّ

بي ، علّ شيئاً منك — همسٌ ، نبأةٌ — شيئاً يمرُّ
بي منك عبر مدى السكوت
لا شيء إلا وطأة ثقلتْ وصمتٌ مستمرُّ

★

عام ؛ ودبتْ بعده في البحر معجزة الحياه
لم أدر كيف ؛ هناك رفّتْ بغتة فوق المياه
وهفتْ حمامه !

زرقاء .. في طهر السماء ، هفتْ إليّ على غمامه
وطوتْ جناحيها وقرّتْ في يديّهْ
ورنتْ اليّهْ
وتنفّستْ دفئاً وعطرا .
وشممتُ فيها منك شيئا هاجني وجداً وذكرى
فمضيتُ ألثم ريشها
وجعلتُ صدري عشّها
وشعرت انك عدت ، انك في الطريق !
واجتاحني فرح الغريق
حضنته شطآن النجاه

★

وأطلّ وجهك من بعيدِ
حلواً يرفّ على وجودي
ورأيت احزاني تموت على تعانق راحتينا
وأضاء في فمك ابتسام
البسمة الجذلى التي احببتُها منذ التقينا
عادت تضيء كأنها قلب النهار
وتصبّ في نفسي فيشربها دمي
ويعبّها قلبي الظمي
ونسيتُ آلامي الكبار

ونسيت في سكر اللقاء عذاب عام
عام طويل ظل في عمري يدب كألف عام

نابلس

فدوى طوقان